الموجة الشعرية الجديدة في العراق ومجموعة "أسفار الملك العاشق"

منذ استقرار الحركة الشعرية الحديثة وتبلور ملامحها في مطالع الستينات ، شهد العراق بخاصة موجة شعرية جارفة ، متعددة الاصوات وصخابة . وقد كان للشعراء الرواد العراقيين : السياب ، البياتي ، (الحيوري ، نازك ، دورا هاما وتاريخيا ، ويكاد يكون استثنائيا ، في تجذير حركة التجديد ، وتأسيس مناخها ، مما شق الطريق ومهدها ، امام الموجة الجديدة اللاحقة . هذا الى ان تأثير هؤلاء الشعراء لم يتوقف عند القطر العراقي ، بل امتد الى ارجاء الوطن ، وما زال بصورة او بغيرها ، يمارس تأثيره .

تهضت حركة الرواد على اسس باتت واضحة ومشهودة الان .

● فمن جهة المكانة الخاصة التي يتمتع بها الشعر في العراق ، والتي تجعله باستمرار يحمل ترانا « كلاسيكيا دائما » . فقد تمخضت حركة السياب آنذاك ، واطلقت ندرها الاولى في ظل حركة كلاسيكية راسخة ومتينة الجذور ، كان قوامها بصورة خاصة ، الجواهري .

● ومن جهة ثانية لعب الانفتاح على الثقافة الغربية وتقنياتها الفنية المستجدة ، دورا اساسيا وحيويا ، في تسرب النار الى « الهشيم القديم » . وكان الشعراء العراقيون قد توفروا على قراءة الاثار الغربية ، جنبا الى جنب الشعر العالمي الذي حمل لواء النزعة التقدمية والاشتراكية : اراغون ، ايلوار ، لوركا .

● كان للانتفاضات الشعبية ، وتصاعد المد القومي الجماهيري العربي ، الاثر الفعال ... الباقي والعظيم ، في اراء وجدانات اولئك الشعراء ، بتجربة حية وعميقة . شهد العراق ابان تلك الفترة وثبة كانون الثاني ١٩٤٨ ضد معاهدة بورتسموث (صالح جبر ـ بغداد) وذلك في ظل انتشار مناخ النقمة على الهزيمة في فلسطين . ثم انتفاضة تشرين الثاني ١٩٥٢ ضد حكم العميل الانكليزي نور الدين محمود ، العسكري (المرفي) ، الى انتفاضة تشرين الثاني ١٩٥٦ ضد العدوان الثلاثي ومشاريع حلف بغداد. حتى قيام الحركة الثورية في تموز سنة ١٩٥٨.

لقد كان للتحولات الاجتماعية اذن ، افقها الوطني ، مما ساعد على انبثاق حركة تجديدية من قلب الصراعات الوطنية والاجتماعية . وكان لقرب اولئك الشعراء من المد الجماهيري ، اثر لا يضاهى في تفتحهم الشعري ، خاصة وان معظمهم يحمل نزعات تقدمية واضحة .

وكما في سائر ارجاء الوطن ، كذلك وبصورة استثنائية ، بدأت تتحقق الانتصارات التاريخية للاتجاه الجديد في مطالع الستينات في العراق . وكان التيار القديم ، بدا يخسر مواقعه ، ويتكفي بحطه من منابر الخطابة ، والمهرجانات الشعرية الرسمية ، كما عجز عن تأكيد وجود شعراء يحملون ما بداه الجواهري مثلا ، او ابو ريشة. حتى تبنت المجلات الادبية والمنابر الثقافية في عمومها ، الشعر الجديد ، اذ اخذ هذا الشعر يصنع جمهورا جديدا ، ويشيد في انحيازه الى حركة التقدم .

ما هي الملامح الاساسية للحركة الجديدة التي ارساها الرواد ؟

ـ تبدأ المفهوم القديم للقصيدة القائم على وحدة الوزن والقافية ، وتعدد الموضوع الشعري .

وتبني موسيقى الوحدة العضوية الداخلية للقصيدة .

ـ نقض الذهنية القديمة القائمة على ترجمة القناعات الثابتة والمغلقة والتقليدية ، الى ابيات منظومة . والذهاب ، كبديل لذلك، الى موضوعات وحقائق الحياة العربية الراهنة ، باعتبارها مادة الحاضر في توجهه الى المستقبل.

ـ تسخير اللغة في خدمة الموضوع الشعري ، وليس العكس . ثم تطويع اللغة ومدها بطاقة الايحاء ، و « شحنها بالمعنى » بتعبير جاويد. عوضا عن الركون الى مفردات « البلاغة» وعلاقاتها الثابتة .

لقد شكلت هذه الملامح الانعطاف التاريخي الفارق في الشعر العربي . ومثلت تجربة جذرية متكاملة في تاريخ هذا الشعر . وكان للشعراء الشبان ، في ما بعد ، فرصة الاستفادة من هذه المكتسبات ، وتطويرها وترفيتها ، بما يرافق حقيقة وواقع التحولات المشهودة في مجتمعنا .

وهذا ما تحقق فعلا ، وبصورة مبدئية . غير ان حالة من التوقف والتحدي ، بدات تلقي ظلالها منذ عام ١٩٦٥ ، في العراق . فقد تكرر بعض الشبان ، لدوافع شتى ، لمجهود اولئك الرواد ، وحصيلة بحثهم وعطاءهم . وباتوا يرون فيهم ارثا ثقيلا « لا يطاق » وعقبة فعلية ، لا غنى عن تصفية اثارها ونتائجها .

فما الذي حل بالقول المأثور « جديد الامس قديم اليوم » ؟

يقول فاضل العزاوي ابرز الشعراء السائبين في العراق وقبل ست سنوات بالتحديد : كل ما يحاوله الشاعر العراقي اليوم هو تقليد روحية واسلوب شعر بدرشاكر السياب مثلا او ادونيس او نازك ، دون ان يدرك ان ما حاوله هؤلاء لم يكن سوى محاولة رومانتيكية بدائية ساذجة لتجاوز ثقل مئات السنين من الشعر الخطابي ، الذي لم يعد قادرا على مواصلة الحياة في هذا العالم الديناميكي ذي النزعة الفكرية » .

في موضع اخر يقول : لقد انتهى القديم سواء في الشعر او القصة ، وعلينا ان نحاول اليوم من جديد اعادة بناء اسسنا الفكرية وتطلعاتنا الادبية، عبر فهم فلسفي اصيل ومعاناة حضارية تستطيع تفجير الطاقة الموجودة في دمائنا » . ويكمل طراد الكبيسي احد « المنظرين الشطين » لهذا الاتجاه ، قائلا من جهته : ان الشعراء الجدد يستفدون انسجامهم مع الجو الاجتماعي المحيط بهم ، لهذا نراهم يتدفعون الى تطوير اشكال اعمالهم ، لتتوى على حمل تطلعاتهم الادبية ، ومعاناتهم الحضارية المستجدة » .

هكذا اذن : ان ولادة الجيل الجديد مرهونة بانتهاء وتعرية الجيل القديم ، والاصل الفلسفي لهذه الولادة هو فقدان الانسجام مع الجو الاجتماعي (؟..) .. هذا الفقدان الذي يؤدي الى تطوير اشكال الاعمال .

ما المقصود بهذا الكلام ؟. الهروب من تناقضات الواقع واللجوء الى « اشكال » جديدة ، في العمل الفني ، دون ممارسة التاثير على هذا الواقع . اي الاستسلام «للجو الاجتماعي المحيط» والفرار منه الى خلاصات ذاتية « فردية » محمومة. هكذا ايضا تكون ترجمة « الفهم الفلسفي الاصيل

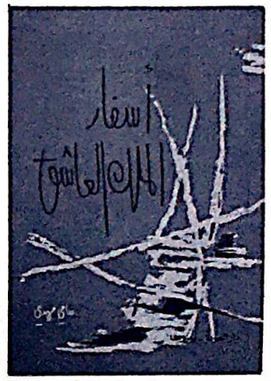

والمعاناة الحضارية » : المزاج البورجوازي الصغير المتقطع ، والتخريجات اللاتانية التي توهم تدمير « العالم القديم » فيما هي تنكر امكانية محاربته ، وتتوقف عند الاحتدام الانفعالي الذي يقطع السبيل بين الذات والموضوع من جهة ، والذي يعني النفس بخلاص الفن ، فيما سبب اسباب ازمة النفس هو الواقع عينه .. من جهة اخرى .

ولعل استعراض النماذج الممثلة لهذا المنحى ، امر اساسي لانتهاء تحليل هذه الظاهرة ، الى مداه . لولا ان هذا الفرض ليس مهمة المقال . على ان عرض ابرز خصائص وسمات هذه الظاهرة الان ، قد يكون خطوة على الطريق : يعتمد شعراء الموجة الاخيرة (وابرزهم الفزاوي وحميد المطيعي ومؤيد الراوي) في بنائهم الفني على مخلفات الفوضوية والحركة الدادية : نثر الانفعالات ، توظيف الايقاع الصوتي ، استخدام الحكاية ، تفكيك اللغة (بعضهم يقول انه يكتب بلغة من نحاس ـ نحاس وليس قصدير ..) .. وهم في سبيل ذلك يلفون الموضوع ، دون اسف او رحمة ، وبراهنون مقابل ذلك على دور « الصدمة » او « المفاجأة » لدى القارىء . وتبقى فضيلة الشاعر عندهم هي : القدرة على استغلال اللغة ليس كاداة توصيل او تواصل بل كطاقة « فيزيولوجية » بدائية . او ما يسمى بـ « التصويت » . اي القدرة على توليد الالفاظ دون ضابط نفسي وفني ، ودون غاية . لكن اللغة تصبح غاية بذاتها : بناء العالم وهدمه باللغة ، على غرار القصيدة. وهكذا مقابل فصاحة الشاعر القديم وتنظمه بالقاموس ومعجم الالفاظ ، بلجا الشعراء هنا الى العبث باللغة وتخريبها ونثرها ، كشهادة لا ترقى اليها الشبهة، في امتلاكهم لناصية « الحداثة » على غفلة « اللحظة الحضارية » المجيدة .. غير ان ما يجدر ملاحظته ، هو كون هذه الظاهرة ـ وحيدة الجانب ، والتي تطفو على سطح الحياة الشعرية في العراق ، ليست ممثلة لاتجاه شعر الشباب ، وان كانت نماذجها تتراكم او « تتفاقم » بوما عن يوم .

فئة شعراء هم « الوارثون » الطيبيون اليوم، لما انجزه الرواد ، والممثلون الشرعيون للشعر الشاب في العراق، وفي مقدمتهم : سامي مهدي، فوزي كريم ، محمد سعيد الصكار ، عبد الامير معلة . والامل معقود على هؤلاء ، وغيرهم ، في اغناء مسيرة الشعر العربي ، وتفجير طاقاته .

اسفار الملك العاشق

حفظنا طقوسك عبر المقانع ،
حتى نسينا صلاة العشيرة
وانمينا صوتك الحجري
وخاض بنا البحر الف نبي
فما اعشوشب الماء يوما
ولا استقبلتنا جزيرة .

مثل هذا الشعور المفعم بالخيبة ، ينسحب على معظم ديوان « اسفار الملك العاشق » الصادر اخيرا لسامي مهدي . شعور بالخيبة يصل طرف اليأس ، لكنه ياس من الماضي وليس المستقبل . من الموت وليس الحياة . وهو اذ يثقل في القصائد ببطء وعمق ، ويضفي على قرارة الصوت شجنا مريرا ، الا انه يحمل في داخله نقيضه الحي : الثقة بالاتي . الاتي الذي لا يدل عليه الصوت المجلجل ، او النزعة الباهظة، ولكنه ينبثق من ايمان الشاعر الذي لا حد له بالمستقبل الذي يحمل عناصر الحياة الخلاقة .

امع الماء يا جزر العاشقين ..
ففي مدن الماء تندى الرحال
وتملك حورية عريها ، وترد احتراق الرجال
وتغسل اجوافهم بمياه جديدة
وفي مدن الماء يقتل ثائره البدوي
وينسى ضجيج الطقوس وحمى القصيدة
ويضج في القاع مملكة

وينام .

هكذا الشاعر ، يؤدي هذا التحريض العالي ، على الحياة . تحريض لا يغمر الفنانية الرقيقة ، ولا يفقد رمزه الشعري الكثيف . ففي هذا الماء الذي يدعو اليه الشاعر حياة للعربي الذي يصارع اسباب الموت . وفيه يدعو الشاعر العربي انسانه ، ان يمارس القتل اذا نشد الحياة . قتل الناقة التي ما عاد حبها يوصله الى مكان . اي قتل الماضي العاطل عن الحياة . فالبدوي (العربي) بدوي حتى ولو قتل ناقته ، لكنه بهذا الفعل يتخلص من ضجيج الطقوس . من كل ما ياسره ويغيبه . في سبيل « مملكة » هي الذات الجديدة ، التي لا تتفتح الا في المدن المفتوحة الحية ، على غرار الماء ، الذي يثير الحياة في الرمال ، ويوفرها خلاقة وعظيمة للرجال .. المشرعة اشواقهم على المستقبل .

ان الشاعر وهو يرى الى نفسه واقفا على مفترق ، وراءه ماض ثقيل « سقط ولم يسقط » وتحت اقدامه حاضر بحده السقوط والقيامة ، لا يملك الا ان يمشي صوب افقنومض فيه نجمة. ولتكن النجمة « رصاصة » .. فهي سر قوته وسبب نهوضه .

الرصاصة ثابت معي ـ لبستني ـ نمت تحت جلدي ـ وسرنا معا شجرا ـ غابة ـ ووكطنا معا في تخوم الوطن .

هذا الاحساس بالتوحد بالارض ، بالتزامل مع الطبيعة ، بمرافقة الاشياء الغنية ، هو ما يبث في القصائد ، نسغاً عذبا واخضر . ويجعل القصائد ليس من مفردات القلب وحسب ، بل كذلك من لغة الحلم والجسد : غيمة ترتخي ، ندى في عروق الحجر ، عصافير ترتق اعشابها ، امراة شجرة ، مشيت بكم ، كل مملكة تنتهي بين اقواسها ، الارض مخمورة » .

امام اللغو عن سقوط الموضوع واستنفاذه لاغراضه ، وازاء مجانية التاتاة الجمالية على حساب الفناء ، ووسط ركام الكلمات المفولة بالشهوة المسكينة لنزف الحبر .. يتخذ الشاعر سامي مهدي من محنة الحياة العربية ومخاضها العظيم المرتقب ، موضوعه الشعري الاثير. « بعد النبي الذي يموت » ، يسبح الشاعر بجماع صبوته في « نهر اليقين » . وعبر ذلك يبث لنا صوته العميق الحار ، المتشح بالكابة ، والمشرق بالعشق . فهوعا عن ندب الذات ونعيها ، يختار الشاعر خلاصه في شعبه ، وبالحياة المترعة في صفوفه . وبدلا من الانتحار النفسي ، واستجداء امجاد وهمية في « حضارة » الاخرين ، يقتات الشاعر من رصاص ومزودة وسماء عميقة . وهذا شرف استحق عليه الشاعر ، شعره .

وفي وقت يمجد فيه « زمن الجنون » ويرتفع فيه مثال الشهادة دون بطولة . وتروج فيه دعوى السلام النخبوي الفردي دون حرب ، يختار الشاعر « زمن العشق » . عشق الحياة الطالعة من التراب ، وعشق النماء المنبثق من العدم . والعاشق ، غائب حتى يكتمل حضوره . لكن صوته يصل الينا ، وصوته منارة .

« في شارع يخضل بالناس ، والقير ، ورايت ملصقا ، فقيل لي : هنا استكان وجهه ، ومن هنا يخاطب الناس ، اذا مروا ، ويعطي كل واحد حنين يوم متزع ..

« انت بين الناس . مثل الناس ، قيل : انت طائر ، قابضه البحر على الارض ، فلما ان راى الارض استحال مطرا ، واثبت في ترابها ، وشب في الاشجار حتى التهبت رؤوسها .

« لا لن تكون طائرا ، ولن تكون مطرا ، انت حريق الارض والسماء ، لا انت هنا ، هناك، في، في المياه والتراب ، في حقائب الاطفال ، بل في سرد النساء ، هذا زمن العشق وانت العاشق الكبير » .

هنا تتوقف « اسفار الملك العشق » ، تتوقف كيما تبدأ في الزمن العربي الموعود . الزمن الدائرة التي تدور .

ان هذا الديوان من خيرة شعر العراق .

●

اذا كان هذا الديوان يحتل مكانة ممتازة في الشعر العراقي الحديث ، ويمثل تجربة فريدة النسيج والسمات ، فانه يظل ممكنا القول ان الشعر الشاب في العراق ، مثل سواه في ارجاء الوطن ، يتبادل معه التاثر والتاثير . وان هذا الشعر في عمومه ، لم يكتسب لحد الان خصائص فنية وفكرية تجعله يفترق عن تجربة الشعراء الرواد . واذا كان هناك ما يميزه ، عما سبقه فهو انه شعر البحث . في المنطقة التالية لوصول الشعراء الرواد .

(م. سفيان)

هولاكو.. بالكوفية والعقال

هذه القصيدة تدمغ الى « الهدف » شاعر يفضل حاليا ان يبقى اسمه مكتوما ، بسبب الجازر التي تشنها الرجعية الاردنية العميلة ضد المقاومة .

ـ ١ ـ

ما كنا نعرف .. من قبل ..
اللامعقول !
حتى هبطت
بين يدي (خضره)
ذبابه !
تحملها في الفجر
ذبابه !

ـ ٢ ـ

كانت (خضره)
تعجن
في صحن الدار !
فانتفضت (خضره)
حين اكبّ
على الاسماع
طنين الذبابه !
واتّسع
هدير ذبابه !

ـ ٣ ـ

نسيت (خضره)
تذويب خميرتها !
اول مره .. تنسى (خضره)
من خمسين سنه !
تذويب خميرتها
في الطبق !

ـ ٤ ـ

رجعت (خضره)
لتذيب خميرتها
فانطلقت
من فوهة الدبانة
قنبلة وقذيفة !
فتناثر ماء خميرتها
وتعالت في الجو فقاقيع !

ـ ٥ ـ

نظرت (خضره)
في فقاعة ماء !
فرات (خضره)
شاشة تلفزيون !
يخرج منها
عالم تحضير الارواح
يعلن ويصيح :
جاءكم .. جاءكم
من اقبية التاريخ
فوق جواد من ريح
هولاكو هولاكو هولاكو !

ـ ٦ ـ

نظرت (خضره)
فرات وجها همجيا اسمر
دوران الطاحونه !
المجنونه !

ـ ٧ ـ

فزعت (خضره) ..
رات الخوذة ..
خوذة هولاكو المعهودة !
تتحول قبعة ..
كرعاة البقر ..
بقر القرن العشرين !
ورات فوق جبين هولاكو
وشما
يحمل رسم الدولار !

ـ ٨ ـ

وتناثر فوق الوشم
رشاش الماء
فانحلّ الدولار
وتساقط
فوق الوجه
دنانير ..
حملت صورة
كوفية .. وعقال !

ـ ٩ ـ

ومضى وجه هولاكو
يظهر في ادوار ..
دور رعاة البقر ..
يرطن في لهجة اهل القرن العشرين
وترجم هذي الاقوال ..
اقوال هولاكو الهمجية ..
السنة الدينار !

ـ ١٠ ـ

وتصبح الكوفيه :
في لهجتها البدويه :
هاتو الي (خضره) .. هاتوها !
فانتفضت (خضره)
تصرخ وتولول
وتفتّش ...
في وجه هولاكو
ومترجمة :
جابوا العريس جابوه !
جابوا الشهيد جابوه !
وبعلّم الثورة لغوه !
انا امّو يا فرحة امو !
يا عرسو في ليلة دمّو !
يا اخواتو للثوره انضموا !
زغروده .. ياله يا بنات.. زغروده !

ـ ١١ ـ

وانتفض هولاكو
وانحنّت
عن كتف هولاكو
الكوفيه !
ومضى يصرخ :
هاتو الي خضرة هاتوها
هاتوها للعمليات ..

ـ ١٢ ـ

ورات (خضره) هولاكو
يتحول في دور طبيب
يلبس (أوفرأول) العمليات
يحمل مشرطه في يده
ويصيح :
القوا خضرة القوها !
عيناه تدوران
في الغرفة ..
فوق المنضدة المهوده
منضدة العمليات !

ـ ١٣ ـ

شق هولاكو الصدر !
و (خضرة) تنظر في المرآة !
وانتفضت (خضره)
حين رات هولاكو
يتحول كلبا ..
يتحول ذئبا ..
يعوي ويصيح :
شقوا القلب
اني اشهد عظمة !
شقوا القلب ..
اني اشهدها
في طيات القلب !
بين حنايا الاوردة الحية !
وسط عروق الدم !
شقوا القلب !

هذا قبر شهيد !
شقوا القلب !
هذا قبر عريس !
شقوا القلب
هذا قبر الثائر !
هاتوا العظمة .. اعلكها !
هاتوا العظمة .. اعركها !
هاتوا العظمة .. اصحنها !
هاتوا العظمة .. اطحنها !
هاتوا العظمة .. اسحقها !
في اسناني !
اني جائع !
اني حاقد !

ـ ١٤ ـ

وانتفضت (خضره)
عن طاولة العمليات !
حطمت المرآة !
وانطلقت تجري
خلف الذئب !
لتخلص من فكيه العظمه !

ـ ١٥ ـ

وانتصرت (خضره) !
ومضت تكسو العظمة
لحما !
وتلف عليها
علم الثورة !
وتعيدُ لها
ثوب الاعراس
وتزفّ:
شهيد الثورة
وتقيم الشاهد والازهار
وتغنّي :
جابوا العريس جابوه
جابوا الشهيد جابوه
وبعلّم الثورة لغوه
انا امّو يا فرحة امو !
يا عرسو في ليلة دمّو !
يا اخواتو للثوره انضموا !
زغروده .. ياله يابنات زغروده !

ـ ١٦ ـ

جدّوا في البحث
عن الذئب الجائع !
جدوا في البحث
عن الذئب الحاقد !
فر الذئب
ومضى يقبع
في ركن
بين بيوت الشعر !

الاول من حزيران
١٩٧١